

الأدوار النبوية في القرآن الكريم: إطار منهجي لفهم السنة كتجسيد عملي للهداية القرآنية

رقية طه العلواني

أستاذ الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة البحرين، مملكة البحرين
drruqaia@yahoo.com

المخلص

تستهدف هذه الدراسة التحليلية استجلاء الأدوار النبوية المنصوص عليها صراحة في القرآن الكريم، ومن ثم إبراز دلالتها العلمية والمنهجية في تأصيل فهم السنة النبوية باعتبارها التجسيد العملي والتطبيق الأمثل للهداية القرآنية في واقع الحياة الإنسانية. وتطلق الدراسة من المنهجية الإصلاحية المعاصرة التي تؤكد التكامل الوظيفي بين النص القرآني والتطبيق النبوي مستكشفة الوظائف النبوية المحورية: التلاوة، والتبليغ، والبيان، والنصيحة، والتعليم، والتركية، والاتباع، والافتداء، والاهتداء، والتأسي، والهيمنة التي أكدها عدد من العلماء في القديم والحديث. ومن خلال التحليل المنهجي الدقيق، تكشف الدراسة عن الطبيعة التكاملية لهذه الأدوار وتفاعلها التآزري في تحويل المبادئ القرآنية النظرية إلى منظومة عملية شاملة للسلوك الإنساني والتنظيم المجتمعي. وتؤكد النتائج أن السنة النبوية تمثل النموذج التطبيقي الأرقى والأشمل للقيم والمبادئ والأخلاق القرآنية، مما يوفر للمجتمعات المسلمة المعاصرة إطاراً مرجعياً متكاملماً للتعامل مع تحديات العصر مع الحفاظ على الهوية الحضارية الأصيلة. وتساهم هذه الدراسة في إثراء الأدبيات المعاصرة للدراسات الإسلامية من خلال تقديم منهجية تكاملية تربط بين التأصيل النظري والتطبيق العملي، مما يفتح آفاقاً جديدة للبحث في العلاقات الجدلية بين الوحي والتطبيق الواقعي له. كما تساهم في تقديم إطار مفاهيمي لإعادة تقديم السيرة النبوية كتطبيقات عملية لأدوار النبي محمد عليه الصلاة والسلام في ضوء الهدايات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: الأدوار النبوية، السنة النبوية، السيرة النبوية، الهداية القرآنية، المنهجية التكاملية.

Prophetic Roles in the Holy Quran: A Methodological Framework for Understanding the Sunnah as Practical Embodiment of Quranic Guidance

Ruqaya Taha Alalwani

Professor of Islamic Studies, College of Arts, University of Bahrain, Kingdom of Bahrain
drruqaia@yahoo.com

Abstract

This analytical study aims to elucidate the eleven prophetic roles explicitly delineated in the Quranic text and illuminate their scientific and methodological significance in establishing an understanding of the Prophetic Sunnah as the practical embodiment and optimal application of Quranic guidance in the reality of human life. The study employs contemporary reformist methodology that emphasizes the functional integration between Quranic text and prophetic application), exploring the pivotal prophetic functions: recitation (*tilawah*), transmission (*tabligh*), clarification (*bayan*), counsel (*nasihah*), teaching (*ta'lim*), purification (*tazkiyah*), following (*ittiba'*), emulation (*iqtida'*), guidance (*ihtida'*), exemplification (*ta'assih*), and stewardship (*haymanah*). Through rigorous methodological analysis, the study reveals the integrative nature of these roles and their synergistic interaction in transforming theoretical Quranic principles into a comprehensive practical system for human conduct and societal organization. The findings confirm that the Prophetic Sunnah represents the highest and most comprehensive practical model of Quranic values, principles, and ethics, providing contemporary Muslim communities with an integrated reference framework for dealing with contemporary challenges while preserving authentic civilizational identity. The study contributes to enriching contemporary Islamic studies literature by presenting an integrative methodology that connects theoretical foundation with practical application, opening new horizons for research into the dialectical relationship between revelation and reality.

Keywords: Prophetic Roles, Prophetic Sunnah, Prophetic Biography, Practical Embodiment, Quranic Guidance, Integrative Methodology, Contemporary Application.

مقدمة

تواجه الدراسات الإسلامية المعاصرة تحدياً معرفياً جوهرياً يتمحور حول فهم العلاقة التكاملية بين النص القرآني والتطبيق النبوي، وهي علاقة تتجاوز البعد الأكاديمي المحض لتشمل السؤال الأساسي حول كيفية تفاعل الوحي الإلهي مع الواقع الإنساني عبر الحدود الزمانية والمكانية (رحمن، 1982؛ أبو الفضل، 2001). لقد برزت العلاقة بين القرآن والسنة النبوية -باعتبارهما الركيزتين الأساسيتين للهداية الإسلامية - كأكثر القضايا تعقيداً وأهمية في الفكر الإسلامي المعاصر (العلواني، 2007؛ حسن، 2018).

وتطرح هذه الدراسة نموذجاً منهجياً متطوراً يقوم على فهم السنة النبوية باعتبارها التجسيد الأمثل والتطبيق العملي الشامل للمبادئ والقيم والأخلاق القرآنية (العلواني، 1991؛ بكر، 2017). هذا التصور لا يمثل مجرد تطوير أكاديمي، بل يشكل تحولاً معرفياً جذرياً يحل التوترات التقليدية بين الأصالة النصية والفعالية السياقية، مقدماً أساساً منهجياً راسخاً للممارسة الإسلامية المعاصرة (إبراهيم، 2019؛ رمضان، 2020). كما يساهم في تقديم إطار مفاهيمي لقراءة السنة والسيرة النبوية من خلال الأدوار النبوية في القرآن وهداياته.

الأهمية النظرية والإسهام العلمي

إن دراسة الأدوار النبوية المنصوص عليها صراحة في الخطاب القرآني تكشف عن منظومة تأويلية متكاملة لتفعيل المبادئ القرآنية في الواقع المعيش (الطبري، 2000؛ ابن كثير، 1999). يثبت هذا التحليل متعدد الأبعاد أن رسالة النبي محمد ﷺ تجاوزت مجرد نقل الرسالة لتشمل التجسيد الشامل للهداية الإلهية ضمن إطار عملي قابل للتطبيق عبر الحدود الزمانية والثقافية (المباركفوري، 2007؛ وات، 1956). هذا الفهم يتحدى المقاربات الاختزالية التي تقسم المعرفة الدينية إلى أجزاء منفصلة، ويدعو بدلاً من ذلك إلى فهم شمولي لكيفية تحويل الوظائف النبوية للوحي الإلهي إلى ممارسة إنسانية حية (الغزالي، 2015؛ ابن القيم، 1415 هـ).

وتستخدم هذه الدراسة منهجية إصلاحية معاصرة تجسر الفجوة بين التراث الإسلامي الكلاسيكي والحاجات المعاصرة، مع التأكيد على أن السنة النبوية تمثل النموذج التطبيقي الأمثل والتفسير العملي الشامل للقرآن الكريم. تتجلى أهمية البحث في أبعاد متعددة: الابتكار المنهجي من خلال تطبيق الأطر الإصلاحية على تحليل الوظائف النبوية؛ والصلة المعاصرة عبر إظهار كيف تتعامل المفاهيم الإسلامية التقليدية مع التحديات الحديثة؛ والتكامل الأكاديمي بربط التراث الإسلامي التقليدي بالمنهجيات الأكاديمية المعاصرة.

إشكالية الدراسة ومنهجيتها

تتمحور الإشكالية الأساسية لهذا البحث حول الحاجة الماسة لفهم علمي دقيق للعلاقة التكاملية بين القرآن والسنة النبوية في ضوء التحديات المعاصرة التي تواجه المجتمعات الإسلامية عالمياً (العلواني، 2016؛ ديلورنزو، 2016). بينما تتعامل المناهج التقليدية مع السنة كمصدر تكميلي أو مواز للقرآن (الشافعي، 1940؛ ابن تيمية، 1995)، تطرح المنهجيات الإصلاحية المعاصرة تصوراً مختلفاً جذرياً يرى في السنة التجسيد العملي والتطبيق الحي للمبادئ القرآنية (العلواني، 2007؛ حسن، 2018).

الأسئلة البحثية

السؤال الأساسي: كيف تؤسس الأدوار النبوية المحددة في القرآن الكريم لفهم السنة النبوية باعتبارها التجسيد العملي للهداية القرآنية، وما هي الانعكاسات المنهجية لهذا الفهم على الممارسة والدراسات الإسلامية المعاصرة؟

الأسئلة الفرعية:

1. ما هي الأدوار النبوية الأساسية المنصوص عليها في القرآن وكيف تعمل كمنظومة متكاملة لتطبيق الهداية الإلهية؟
2. كيف يمكن توظيف المنهجية الإصلاحية المعاصرة لفهم العلاقة بين هذه الأدوار والتطبيق العملي للقرآن؟
3. ما هي التطبيقات العملية لهذا الفهم في المجالات المعاصرة المختلفة؟
4. كيف يمكن لهذا الإطار المنهجي أن يساهم في حل التحديات المعاصرة مع الحفاظ على الهوية الإسلامية الأصيلة؟

أهداف البحث والإسهامات المتوقعة

الأهداف الأساسية:

1. التحليل المنهجي الشامل: إجراء تحليل منهجي شامل للأدوار النبوية المحددة في النص القرآني وإثبات وظيفتها كمنظومة متكاملة لتأسيس السنة كتجسيد عملي للقرآن.
2. تطوير الإطار النظري: تطبيق المنهجية الإصلاحية المعاصرة في فهم العلاقة بين القرآن والسنة من خلال مفهوم التكامل بين قراءة النص وقراءة الواقع.
3. بناء إطار تطبيقي: تقديم إطار تطبيقي يوضح كيف يمكن للمجتمعات الإسلامية المعاصرة الاستفادة من هذا الفهم في مواجهة التحديات الراهنة، وإتاحة مجالات أوسع أمام الدراسات المستقبلية في هذا التوجّه.

الأهداف الثانوية

1. توضيح الأسس النظرية: بيان الأسس النظرية لمفهوم السنة كتجسيد عملي للقرآن في الفكر الإصلاحي المعاصر.

التحليل الوظيفي: تحليل كل دور نبوي على حدة مع بيان علاقته بالأدوار الأخرى في المنظومة الشاملة.

الإطار النظري: الأسس المعرفية

تقوم هذه الدراسة على مفهوم "الجمع بين القراءتين" قراءة الكتاب المقروء القرآن والكتاب المنظور الكون؛ كأساس لفهم العلاقة بين النص والواقع في التجربة الإسلامية (العلواني، 1991؛ العلواني، 2007). يبرز هذا المنهج من خلال بعدين رئيسيين يعملان في تفاعل ديناميكي مستمر، كما أشار حسن (2018) ورمضان (2020).

قراءة الوحي (قراءة النص):

تعتمد هذه القراءة على منهجية التعامل مع القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة باستخدام الأدوات التفسيرية والنقدية التقليدية، مع الانفتاح على مستجدات العلوم التأويلية المعاصرة (الأعظمي، 1992؛ الزحيلي، 1418 هـ). وتتطلب هذه القراءة التزامًا صارمًا بالمصادر الأصلية والدقة المنهجية عبر أصول التفسير المعتمدة ونقد الحديث، مع ضرورة الفهم الكلي الذي يربط النصوص الجزئية بسياقاتها القرآنية والنبوية الأشمل (الشاطبي، 1997؛ ابن منظور، 1414 هـ؛ العلواني، رقية، 2012).

قراءة الواقع (قراءة السياق):

تشمل هذه القراءة التحليل النقدي للواقع المعاصر بأبعاده الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية، مع الاستناد إلى منهجيات علمية (رمضان، 2020). وتستلزم هذه القراءة تطبيق المقاربات التجريبية، وإدراك الحساسية الثقافية في فهم السياقات والتجارب الإنسانية المتنوعة، بالإضافة إلى استشراف التحديات والفرص المستقبلية (حسن، 2018).

إعادة فهم السنة النبوية كتجسيد عملي:

يُعد تصور السنة النبوية كتجسيد عملي للقرآن الكريم تطورًا منهجيًا بارزًا في الفكر الإسلامي المعاصر، تجلّى في أعمال عدد من الباحثين (بكر، 2017؛ حسن، 2018). يتخطى هذا التصور النظرة التقليدية التي تعاملت مع السنة كمصدر تكميلي أو مستقل (الشافعي، 1940؛ ابن تيمية، 1995)، ليركز على دورها الحيوي في ترجمة المبادئ القرآنية إلى تطبيقات عملية.

إن فهم السنة كتجسيد عملي يقتضي الحفاظ على وضوح التراتبية بحيث يحتفظ القرآن بالأولوية كمصدر أساسي، مع تحقيق التكامل الوظيفي الذي يجعل السنة أداة لتفعيل المبادئ القرآنية في الواقع، وتأسيس سلطة تفسيرية تجعل من الأفعال والأقوال النبوية تفسيرات معتبرة للمقاصد الإلهية (حسن، 2018؛ إبراهيم، 2019؛ العلواني، 2007).

يرتكز هذا المفهوم على ثلاثة أبعاد رئيسية:

1. **الوضوح الهرمي:** مع التأكيد على أولوية القرآن المطلقة كمصدر تشريعي أساسي (ابن تيمية، 1995).

2. **التكامل الوظيفي:** حيث تصبح السنة أداة لتفعيل المبادئ القرآنية في الواقع المعيش عبر آليات منهجية (حسن، 2018؛ إبراهيم، 2019).

3. **السلطة التفسيرية:** إذ تشكل الممارسات النبوية إطاراً معتبراً لفهم المقاصد الإلهية وتطبيقها في سياقات متغيرة (الأعظمي، 1992؛ الزحيلي، 1418 هـ).

تعتمد هذه الرؤية على إعادة قراءة التراث التفسيري مع الاستفادة من التطورات المنهجية المعاصرة، مما يُظهر تفاعل النص الشرعي مع الواقع عبر آليات مثل التخصيص والتوضيح والتنزيل (بكر، 2017؛ رمضان، 2020).

آليات التجسيد العملي:

يعمل مفهوم السنة كتجسيد عملي من خلال عدة آليات رئيسية تظهر وظيفتها التأويلية المتطورة: التخصيص: تخصص السنة المبادئ القرآنية العامة من خلال التطبيقات المحددة. فالأمر القرآني "أقيموا الصلاة" يتلقى تطبيقاً محدداً من خلال البيان النبوي لأعمال هيئة الصلاة وأوقاتها وشروطها. التوضيح: توضح السنة التعبيرات القرآنية الغامضة من خلال البيان العملي. عندما يستخدم القرآن مصطلحات تحتل تفسيرات متعددة، تحل الأفعال النبوية ذلك من خلال إظهار كيفية ترجمة المبادئ المجردة إلى سلوكيات محددة. التنزيل: تثبت السنة كيفية تطبيق المبادئ القرآنية الأبدية عبر سياقات مختلفة، مقدمة أطراً منهجية للتعامل مع الحالات الجديدة مع الحفاظ على الهداية القرآنية.

الأدوار النبوية في القرآن: تحليل تأويلي شامل:

1. التلاوة: الوظيفة التأسيسية للممارسة التأويلية:

الأساس القرآني:

تمثل وظيفة التلاوة الدور النبوي الأكثر أساسية، مؤسسة الأسس المنهجية لجميع الوظائف اللاحقة (الأصفهاني، 2002؛ ابن فارس، 1979). يأمر القرآن صراحة بهذه الوظيفة: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ" (البقرة: 121؛ الطبري، 2000). تؤسس هذه الآية ارتباطاً مباشراً بين التلاوة الصحيحة (تلاوة حق تلاوته) والإيمان الأصيل (يؤمنون به)، مما يضع التلاوة كمكون أساسي للوعي الديني وليس مجرد ممارسة طقوسية (ابن كثير، 1999؛ الزحيلي، 1418 هـ).

تشمل المهمة الإلهية للنبي محمد ﷺ مسؤوليتين أساسيتين بشأن التلاوة: النقل الدقيق المضمون بالوعد الإلهي - "سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ" (الأعلى: 6-7؛ الطبري، 2000) - مما يؤسسه كسلطة نهائية في التلاوة الصحيحة؛ والتوضيح التربوي المأمور به من خلال "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ" (النحل: 44؛ ابن كثير، 1999)، موسعاً دوره إلى ما وراء مجرد التوصيل إلى التفسير الفعال والتعليم المجتمعي.

المنهجية النبوية في التلاوة:

التجويد والترتيل: أسس الدقة الصوتية:

جسد النبي ﷺ الأمر القرآني "وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا" (المزمل: 4؛ الزحيلي، 1418 هـ) من خلال ممارسته للترتيل - التلفظ المتأن والمقيس الذي يسهل كلاً من الفهم والتأمل (النووي، 2020). تكشف الوثائق الدقيقة لأنس بن مالك عن اهتمام متطور بالدقة الصوتية: "كان النبي ﷺ إذا قرأ 'بسم الله الرحمن الرحيم' مد بسم الله، ومد بالرحمن، ومد بالرحيم" (البخاري، 1422 هـ، حديث 5046).

هذا المنهج التطبيقي أسس المبادئ الأساسية لعلم التجويد، مقنناً بشكل منهجي قواعد النطق الصحيح (المخارج) والخصائص الصوتية (الصفات) والتعديل الإيقاعي (الوقف والابتداء). تجاوز منهج النبي ﷺ الدقة الآلية ليشمل المشاركة الروحية والرنين العاطفي والفعالية التربوية، خالقاً مناهج شمولية للتعامل مع القرآن تخاطب جميع أبعاد الوعي الإنساني.

هذا النهج النبوي وضع الأسس الأولى لعلم التجويد، حيث قعد العلماء قواعد النطق الصحيح (المخارج)، والصفات الصوتية، وأحكام الوقف والابتداء، مستندين إلى التطبيق النبوي العملي (ابن الجزري، 1994).

وتجاوزت المنهجية النبوية في التلاوة حدود الدقة الآلية، لتشمل أبعادًا روحية وتربوية؛ فقد كان النبي ﷺ يقرأ القرآن بخشوع وتدبر، ويحث أصحابه على التفاعل الوجداني مع النص، مما جعل التلاوة القرآنية تجربة شمولية تعزز حضور القلب والعقل معًا (النووي، 2020).

2. التبليغ: الإخلاص المطلق للوحي الإلهي:

يشكل التبليغ أحد أعظم الوظائف النبوية وأكثرها حساسية، إذ يقوم على نقل الوحي الإلهي إلى الناس بأمانة مطلقة دون تدخل شخصي أو تحوير ثقافي أو سياسي. وقد أسس القرآن الكريم لهذا الدور من خلال توجيهات واضحة، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: 110] (ابن كثير، 1999)، وقوله: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ [الجن: 23] (الطبري، 2000).

تؤكد هذه النصوص أن وظيفة النبي ﷺ تقتصر على البلاغ الأمين، دون أن يسمح لنفسه بأي إضافة أو اجتهاد شخصي في مضمون الرسالة (الأعظمي، 1992؛ المباركفوري، 2007).

وقد شدد العلماء على أن الإخلاص في التبليغ هو شرط لصحة الرسالة وفعاليتها؛ فالنبي ﷺ لم يكن ناقلًا فحسب، بل كان أمينًا على الوحي، لا يتصرف فيه إلا بما أمره الله تعالى (القرطبي، 2006؛ ابن عاشور، 1984). ويشير الرازي إلى أن البلاغ النبوي يقتضي التجرد التام من الأهواء والمصالح الشخصية، والالتزام الحر في مضمون الوحي (الرازي، 1999).

التبليغ بين الأمانة والتحديات الواقعية:

تتجلى عظمة التبليغ النبوي في مواقف تاريخية مفصلية، أبرزها حادثة صلح الحديبية (6 هـ/628 م). فقد واجه النبي ﷺ ضغوطًا سياسية شديدة عندما طالب المفاوضون المكيون بحذف لقبه "رسول الله" من نص المعاهدة، في مقابل تحقيق مكاسب استراتيجية للمسلمين (وات، 1956؛ المباركفوري، 2007).

ورغم أهمية التوافق السياسي، أصر النبي ﷺ على عدم المساس بجوهر رسالته، معلنًا: "والله إني لرسول الله وإن كذبتموني" (ابن سعد، 1968، ج2، ص 93). لقد سمح النبي ﷺ بحذف اللقب من

الوثيقة، لكنه لم يتنازل عن هويته النبوية في وعيه وسلوكه، مجسداً بذلك الإخلاص المطلق للوحي الإلهي.

الإخلاص في التبليغ: أبعاده وأثره:

يؤكد العلماء أن الإخلاص النبوي في التبليغ لم يكن مجرد التزام نصي، بل كان موقفاً وجودياً ينعكس في كل تفاصيل الدعوة والسلوك النبوي (ابن عاشور، 1984؛ القرطبي، 2006). وقد أشار المباركفوري (2007) إلى أن النبي ﷺ لم يسمح للضغوط الاجتماعية أو السياسية أو حتى العاطفية أن تؤثر على أمانة البلاغ، بل ظل وفياً للوحي حتى في أحلك الظروف. ويذهب الأعظمي (1992) إلى أن هذا الإخلاص هو الذي منح الرسالة النبوية مصداقيتها التاريخية والروحية، وضمن استمرارها وتأثيرها في الأجيال اللاحقة.

3. البيان: السلطة التأويلية في التفسير الإلهي:

المهمة الإلهية للتوضيح العملي:

تؤسس الآية القرآنية "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" (النحل: 44؛ الطبري، 2000) السلطة التأويلية الفريدة للنبي ﷺ كمفسر للهداية القرآنية (الشاطبي، 1997؛ ابن تيمية، 1995). تستخدم هذه الآية المصطلح العربي "لتبين" (لتوضيح)، المشتق من الجذر ب-ي-ن، مشيراً ليس فقط إلى التفسير، بل إلى البيان العملي والتنفيذ المعيش للمبادئ الإلهية (الأصفهاني، 2002؛ ابن فارس، 1979).

وقد أوضح الراجب الأصفهاني أن البيان في القرآن يتضمن الإظهار الجلي للمعنى، مع إزالة كل لبس أو غموض (الأصفهاني، 2002). أما ابن فارس فقد أكد أن الجذر ذاته يدل على "الوضوح والانفصال"، أي أن البيان النبوي هو إزالة الالتباس وتقديم المعنى الصافي (ابن فارس، 1979).

لم تقتصر وظيفة النبي ﷺ على التفسير النظري للنص القرآني، بل امتدت لتشمل التأويل التطبيقي، أي تجسيد المعاني القرآنية في الواقع العملي للأمة.

يؤكد الشاطبي (1997) أن البيان النبوي يتضمن نوعين:

- **البيان اللفظي:** وهو شرح معاني الآيات وتوضيح مقاصدها.
- **البيان العملي:** وهو تنفيذ الأوامر الإلهية وتجسيدها في السلوك اليومي للنبي ﷺ، ليكون بذلك قدوة عملية للأمة.

وقد أشار ابن تيمية (1995) إلى أن النبي ﷺ هو المرجع الأعلى في فهم وتطبيق القرآن، وأن سنته القولية والفعلية تمثل البيان الأكمل للوحي، بحيث لا يجوز تجاوزها في التفسير أو التطبيق. وفي هذا السياق، يبرز مفهوم "التفسير بالممارسة"؛ فالنبي ﷺ لم يكن يقتصر على إيضاح الأحكام نظرياً، بل كان يطبقها أمام الصحابة، في العبادات والمعاملات وسائر شؤون الحياة، ليكون بذلك النموذج العملي للبيان الإلهي (ابن تيمية، 1995؛ الشاطبي، 1997).

أبعاد البيان النبوي وأثره في الأمة:

إن السلطة التأويلية للنبي ﷺ تتسم بالشمولية، فهي تجمع بين التوضيح النظري والتنفيذ العملي للمبادئ الإلهية.

وقد أكد الشاطبي (1997) أن كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير يدخل في دائرة البيان، وأن الأمة مكلفة باتباع هذا البيان في فهمها وتطبيقها للقرآن.

ويشير الأصفهاني (2002) إلى أن البيان النبوي هو الذي يرفع الالتباس عن النصوص ويحقق مقاصد الشريعة في الواقع، بينما يرى ابن فارس (1979) أن البيان هو الوسيلة لضمان استمرار الهداية الإلهية عبر الأجيال.

إن مشاركة النبي ﷺ في البيان تتجاوز تمثل جوهر البيان؛ فالنبي ﷺ يفعل معاني القرآن في الواقع، خادماً كنموذج عملي للأمة وليس مجرد مقدم للتفسيرات اللفظية.

4. النصيحة: الإرشاد الأخلاقي السياقي:

المهنة النبوية للنصح الصادق:

الأساس القرآني لمفهوم النصيحة:

أرسى القرآن الكريم وظيفة النصيحة كمهمة نبوية محورية عبر آيات صريحة مثل قوله تعالى: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتٍ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: 68] (ابن كثير، 1999). تُظهر هذه الآية التكامل بين التبليغ الأمين للوحي وممارسة النصيحة كآلية تربوية لربط المبادئ العامة بالتطبيق الفردي (الغزالي، 2015؛ النووي، 2020).

الدلالات اللغوية والاصطلاحية:

يعود مصطلح "النصيحة" إلى الجذر العربي (ن-ص-ح) الذي يحمل دلالات التطهير من العيوب وإصلاح الخلل. يوضح الراغب الأصفهاني أن النصح يعني "إخلاص العمل وإصلاحه"، مشيراً إلى أن

النصيحة النبوية تهدف إلى تنقية النفس من الانحرافات الأخلاقية (الأصفهاني، 2002). بينما يرى ابن منظور أن الجذر يشمل "التنقية الجوهرية"، كتتنقية العسل من الشمع، مما يعكس عمق التأثير المطلوب في المنهج النبوي (ابن منظور، 1993، مادة: نصح).

المنهجية النبوية في النصيحة: بين الخصوصية والشمولية:

حوّل النبي ﷺ النصيحة إلى نظام إرشادي ديناميكي يتكيف مع السياقات الفردية دون التفريط في الثوابت الشرعية. يُظهر تحليل سيرته أن منهجه اعتمد:

• التشخيص الدقيق: بدراسة العوامل النفسية والاجتماعية للمُستنصَح، كما في قصة الرجل الذي استأذن في الزنا، حيث تعامل النبي مع جذور المشكلة بدلاً من إصدار حكم قاطع (النووي، 2020).

• التدرج الحكيم: كتأجيل نصح بعض الصحابة الجدد في بداية الإسلام لضمان استعدادهم النفسي (الغزالي، 2015).

• التكيف الثقافي: كاستخدام الأمثال المحلية في نصحه لأهل اليمن، مما يدل على مراعاة الخصوصيات دون المساس بالمبادئ (ابن كثير، 1999).

الأبعاد التربوية للنصيحة النبوية:

لم تكن النصيحة مجرد توجيه سلوكي، بل شملت ثلاثة أبعاد متكاملة:

1. البعد الروحي: ربط الأعمال بمقاصدها الأخروية، كما في قوله ﷺ: "الدين النصيحة" (صحيح مسلم، حديث 55).

2. البعد الاجتماعي: بناء مجتمع المودة عبر نصائح عملية، كالتأكيد على حقوق الجار (الأصفهاني، 2002).

3. البعد المعرفي: تقديم النصيحة عبر حوار تفاعلي يُنمي الوعي الذاتي، كما في قوله: "ما بال أقوام...!" (البخاري، 2001، حديث 7288).

5. التعليم: التحول التربوي للمجتمع:

الأمر القرآني للتعليم الشامل:

يؤسس القرآن الكريم لمهمة النبي محمد ﷺ التعليمية في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: 151]، حيث يتضح أن التعليم النبوي يتجاوز مجرد نقل الأحكام إلى بناء منظومة معرفية وأخلاقية متكاملة (الطبري، 2000؛ ابن كثير، 1999).

وقد أكد العلماء والمربون أن "الكتاب" يشمل القرآن الكريم وما يتضمنه من تشريعات وقيم، بينما "الحكمة" تعني الفهم العميق والتطبيق العملي للمبادئ، وتشمل كذلك السنة النبوية (ابن تيمية، 1995؛ الشاطبي، 1997).

تجلت مهمة النبي ﷺ في التعليم من خلال عدة أبعاد متكاملة:

• **نقل المعرفة الشرعية:** كان النبي ﷺ يعلم الصحابة القرآن ويشرح لهم معانيه وأحكامه، وبين لهم ما أجمل من النصوص، ويجب عن تساؤلاتهم حول تطبيقها (الطبري، 2000؛ ابن كثير، 1999).

• **تفسير وتوضيح المعاني:** لم يقتصر التعليم النبوي على التلقين، بل اعتمد على التوضيح العملي، فكان يضرب الأمثال، ويستخدم الحوار، ويطبق الأحكام أمام الصحابة، ليكون قدوة عملية (الزرعة، 2020؛ شهبون، 2022).

• **تنمية الحكمة العملية:** علم النبي ﷺ أصحابه كيفية تطبيق التعاليم الشرعية في الحياة اليومية، فكان التعليم يجمع بين النظرية (المعرفة بالنص) والتطبيق (الممارسة العملية) (الزرعة، 2020).

• **التربية المتكاملة:** ركز التعليم النبوي على تنمية الشخصية، وربط العلم بالعمل، وغرس القيم الأخلاقية والاجتماعية، كما ورد في الحديث: «إنما بعثت معلماً ميسراً» (مسلم، 2020؛ شهبون، 2022).

والتعليم النبوي تميز بالشمولية، والمرونة، ومراعاة الفروق الفردية، واستثمار كل الإمكانيات البيئية والاجتماعية، مع التركيز على بناء الإنسان المتكامل في عقله وروحه وسلوكه. ويُعد هذا المنهج مرجعاً تربوياً صالحاً لكل زمان ومكان، وملهماً للمربين والمعلمين في العصر الحديث. (الزرعة، 2020؛ شهبون، 2022).

ومن طرائق التعليم النبوي كما جاء في سنته وسيرته عليه الصلاة والسلام:

1. التعليم بالنموذج والقدوة العملية:

كان النبي ﷺ يجسد ما يعلمه في سلوكه اليومي، فكان الصحابة يرون فيه التطبيق العملي لكل قيمة أو حكم شرعي، مما جعل التعليم النبوي مؤثراً وملهماً (الزرعة، 2020). مثال: عندما سُئل عن كيفية الصلاة قال: "صلوا كما رأيتموني أصلي" (البخاري، 2001)، فكان يعرض أفعال الصلاة أمامهم ليقلدوه عملياً.

2. الحوار والسؤال والجواب:

اعتمد النبي ﷺ أسلوب الحوار والسؤال لإثارة التفكير وتحفيز الفهم الذاتي، وهو من أكثر الأساليب فعالية في التعليم النبوي (الزرعة، 2020). مثال: جاء رجل يسأل عن الإحسان، فأجابه النبي ﷺ: "أن تعبد الله كأنك تراه..." (مسلم، 2020). مثال آخر: كان يسأل أصحابه: "أتدرون من المفلس؟" ثم يتركهم يجيبون، ليصحح أو يكمل الإجابة (الزرعة، 2020).

3. التدرج في التعليم ومراعاة الفروق الفردية:

راعى النبي ﷺ مستويات المتعلمين، فكان يبدأ بصغار المسائل ثم ينتقل إلى الكبار، ويعطي كل فرد ما يناسبه من المعلومات والتكاليف (الزرعة، 2020). مثال: في تحريم الخمر، لم يأت التحريم دفعة واحدة، بل مر بمراحل حتى تهيأت النفوس لقبوله (ابن كثير، 1999).

4. القصص والأمثلة التشبيهية:

كان النبي ﷺ يوظف القصة والمثل لتقريب المعنى وترسيخ القيمة، لما للقصة من أثر في تحفيز الخيال والانتباه (الزرعة، 2020). مثال: قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار، وكيف أنقذهم الله بصالح أعمالهم (البخاري، 2001). مثال تشبيهي: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة..." (البخاري، 2001).

5. التشويق والتحفيز الإيجابي:

حرص النبي ﷺ على تشجيع المتعلمين وتحفيزهم، فكان يبشر ولا ينفر، ويراعي مشاعرهم ويثني على المجتهد، ويشجع على المنافسة في الخير (الزرعة، 2020). مثال: قوله لمعاذ بن جبل: "والله إني لأحبك..." ثم يعلمه دعاءً خاصاً (أبو داود، 2009).

6. التعليم بالموقف العملي:

كان النبي ﷺ يستثمر الأحداث اليومية ليجعل منها مواقف تعليمية حية، فيربط بين الحدث والتعليم (الزرعة، 2020). مثال: حينما رأى رجلاً لا يحسن الوضوء، دعا النبي ﷺ الصحابة وأراهم بنفسه كيفية الوضوء الصحيح (مسلم، 2020).

7. التيسير ورفع الحرج:

من خصائص التعليم النبوي التيسير، وعدم التشديد، ومراعاة أحوال المتعلمين، خاصة في العبادات والمعاملات (الزرعة، 2020). مثال: عندما جاءه الأعرابي يسأل عن الصلاة، قال له:

"خمس صلوات في اليوم والليله..."، فلما قال: "لا أزيد على هذا ولا أنقص"، أجابه: "أفلح إن صدق" (البخاري، 2001).

8. التعليم الجماعي والفردي:

جمع النبي ﷺ بين التعليم الجماعي (في المسجد أو أثناء الغزوات) والتعليم الفردي (مع السائل أو الصحابي بعينه)، بحسب الحاجة (الزرعة، 2020).

9. استخدام الوسائل البصرية والحسية:

كان النبي ﷺ أحياناً يستخدم الرسم أو الإشارة أو الوسائل الحسية لتوضيح المفاهيم (الزرعة، 2020). مثال: رسم خطاً مستقيماً على الأرض وقال: "هذا سبيل الله..."، ثم رسم خطوطاً جانبية وقال: "وهذه سبل..." (أحمد، 1999).

10. التعليم بالتكرار والتأكيد:

كان يكرر المعلومة المهمة أكثر من مرة ويؤكد عليها بأساليب متنوعة، ليضمن ترسيخها في الأذهان (الزرعة، 2020).

6. التزكية: التنمية الروحية الشمولية:

تحتل التزكية مكانة مركزية في المنظومة التربوية القرآنية، كما يتضح في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: 151] (الطبري، 2000). ويمثل مفهوم التزكية أحد أكثر أبعاد الروحانية الإسلامية تطوراً، معالجاً بشكل منهجي تحول الروح الإنسانية (النفس) من خلال منهجية موجهة إلهياً (الغزالي، 2015؛ ابن القيم، 1415 هـ). يشق المصطلح من الجذر العربي ز-ك-و، دالاً على كل من النمو (النماء) والتهارة (الطهارة)، مشيراً إلى أن التنمية الروحية تتطلب كلاً من التطهير من الصفات السلبية وزراعة الصفات الإيجابية (الأصفهاني، 2002؛ ابن فارس، 1979).

يظهر التأسيس القرآني للتزكية كوظيفة نبوية أساسية في آيات متعددة، وأبرزها: "كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ... وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (البقرة: 151؛ الطبري، 2000). تضع هذه الآية التزكية كعملية وسطية بين التلاوة والتعليم، مشيرة إلى أن التطهير الروحي شرط مسبق للتعلم الأصيل وتنمية الشخصية (العلواني، 2025م)، (ابن كثير، 1999؛ الزحيلي، 1418 هـ).

ويُعرّف ابن القيم التزكية بأنها تطهير النفس من الرذائل وتحليلتها بالفضائل، فهي تشمل إزالة الصفات السلبية كالحسد والغضب، وغرس الصفات الإيجابية كالصبر والصدق والإحسان (ابن القيم، 1994).

ويؤكد النووي (2020) أن التزكية تبدأ من إصلاح النية وتنعكس في السلوك اليومي، إذ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بتقوى القلب واستقامة العمل.

أما ابن عاشور (1984) فيوضح أن التزكية في القرآن تتضمن جانبين متلازمين: الجانب السلبي المتمثل في التخلي عن الأخلاق الذميمة، والجانب الإيجابي المتمثل في التحلي بالأخلاق الحميدة.

تشير الدراسات التربوية الحديثة إلى أن التزكية تساهم في تعزيز الصحة النفسية للفرد، وتدعم بناء مجتمعات أكثر تماسكًا واستقرارًا (المباركفوري، 2007).

ويبرز المنهج النبوي في التزكية من خلال التدرج في إصلاح النفوس، ومراعاة الفروق الفردية (العلواني، 2025م)، وتأكيد العلاقة بين الإيمان والعمل الصالح، كما يظهر في العديد من الأحاديث النبوية والتطبيقات العملية في سيرة النبي ﷺ.

7. الاتباع: النموذج الأولي للطاعة الإلهية:

الأساس القرآني للخضوع النبوي:

يؤسس التوجيه القرآني "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ" (آل عمران: 31؛ الطبري، 2000) الخضوع المثالي للنبي ﷺ (الاتباع) كطريق إلى المحبة الإلهية والمغفرة (ابن كثير، 1999؛ الزحيلي، 1418 هـ). يشتق مصطلح الاتباع من الجذر العربي ت-ب-ع، بمعنى "اتباع الخطوات" أو "اتباع طريق"، مشيرًا إلى التمسك الواعي بالمنهجية النبوية وليس مجرد تقليد السلوكيات الخارجية (الأصفهاني، 2002؛ ابن منظور، 1414 هـ).

ويتجلى اتباع النبي ﷺ من خلال الامتثال الفوري وغير المشروط للوحي الإلهي، حتى عندما تتحدى الأعراف الثقافية الراسخة أو التفضيلات الشخصية. هذه الخاصية النبوية تخدم كنموذج أصلي لخضوع المسلم للإرادة الإلهية، مظهرة أن الإيمان الأصيل يتطلب إخضاع الحكم الإنساني للهداية الإلهية.

الدلالة الحركية لمصطلح الاتباع:

يشير الجذر "تبع" في اللغة العربية إلى السير خلف شخص أو شيء بقصد اللحاق به أو الوصول إلى وجهته. جاء في "لسان العرب" لابن منظور: «تَبِعَهُ يَتَّبِعُهُ تَبَعًا وَتُبُوعًا: لَحِقَهُ وَسَارَ وِرَاءَهُ» (ابن

منظور، لسان العرب، مادة: تبع). هذا المعنى يتجاوز مجرد الحركة العشوائية، ليحمل في طياته عنصر الوعي والقصدية؛ إذ إن التابع يسعى مدرّكاً لهدفه، راغباً في الوصول إلى ما وصل إليه المتبوع. وقد أكد الزبيدي في "تاج العروس" هذا المعنى بقوله: «التَّبَعُ: السَّيْرُ فِي أَثَرِ الشَّيْءِ» (الزبيدي، تاج العروس، مادة: تبع).

الدلالة المنهجية:

الاتباع في الاصطلاح الشرعي يتجاوز المعنى الحركي ليشير إلى التزام منهج أو طريقة محددة. في السياق النبوي، يعني الاتباع تبني المنهج النبوي في الاعتقاد والعمل والسلوك، وهو ما أشار إليه الإمام الشاطبي في "الموافقات" بقوله: «الاتباع هو التزام طريق النبي ﷺ في الأقوال والأفعال والنيات» (الشاطبي، الموافقات، ج2، ص 67). كما أوضح ابن القيم في "إعلام الموقعين" أن الاتباع الحق هو الاقتداء بالنبي ﷺ في كل شأن من شؤون الحياة، مع استحضار القصد في ذلك (ابن القيم، إعلام الموقعين، ج1، ص 50).

الدلالة الزمنية:

يحمل مصطلح الاتباع أيضاً دلالة زمنية واضحة، إذ يُفهم منه أن التابع يأتي بعد المتبوع في الترتيب الزمني، فيسير في أثره ويواصل مسيرته. وقد أشار ابن فارس في "مقاييس اللغة" إلى هذا البعد بقوله: «التاء والباء والعين أصل واحد يدل على المجيء بعد الشيء» (ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: تبع). وبذلك يتضح أن الاتباع النبوي هو عملية مستمرة عبر الزمن، لا تقتصر على جيل الصحابة، بل تمتد إلى كل من جاء بعدهم من الأمة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: 100].

8. الاقتداء: النموذج النبوي الشامل:

التمييز المفاهيمي والتكامل المنهجي:

بينما يركز الاتباع على اتباع التوجيهات النبوية المحددة، يشمل الاقتداء محاكاة المنهج العام للنبي ﷺ وشخصيته ومنهجيته في التعامل مع مختلف مواقف الحياة. يشتق المصطلح من الجذر العربي ق-د-و، بمعنى "القيادة" أو "الخدمة كنموذج"، مشيراً إلى أن الاقتداء ينطوي على تبني المبادئ النبوية وتطبيقها على الظروف الجديدة.

هذا التمييز يمثل مناهج متكاملة وليس متنافسة: الاتباع يتعامل مع التوجيهات النبوية الصريحة التي تتطلب الامتثال المباشر، بينما ينطوي الاقتداء على استنتاج المنهجية النبوية وتطبيقها على الحالات غير المسبوقة. يحدث التكامل عندما يعلم كلا المنهجين الممارسة الإسلامية الشاملة.

9. الاهتداء: الحكمة المسيرية لرحلة الحياة:

يستخدم القرآن الكريم مصطلحات دقيقة وعميقة لوصف الهداية الإلهية، ومن أبرزها وصف النبي محمد ﷺ بالنور والسراج المنير. يقول تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15]، ويقول أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: 45-46] (الطبري، 2000؛ ابن كثير، 1999).

يشير مصطلح "النور" في القرآن إلى الوحي الإلهي بكل أبعاده، وهو يشمل النبي ﷺ والقرآن معاً، إذ أضاء الله بهما ظلمات الجهل والشرك، وبهما ظهرت معالم الحق والهداية (الطبري، 2000؛ الرازي، 1999). فالنبي ﷺ هو النور الذي أضاء الله به الحق، وأظهر به الإسلام، وأزال به الشرك (ابن كثير، 1999). ويضيف الخازن أن النبي ﷺ سمي نوراً لأن الناس يهتدون به كما يهتدون بالنور في الظلمة (الخازن، 1995).

أما وصف النبي ﷺ بـ "السراج المنير"، فهو تعبير عن كونه مصدراً للهداية العملية والنظرية للأمة، فهو مصباح مضيء يُستضاء به في ظلمات الجهل والغواية، كما يُستضاء بالشمس في ظلمة الليل (ابن كثير، 1999؛ الرازي، 1999). ويشير الأصفهاني (2002) إلى أن السراج هو كل ما يُضيء، والنبي ﷺ هو السراج الأعظم الذي أضاء الله به القلوب.

ويؤكد الزرعة (2020) في دراسته التربوية أن النبي ﷺ كان مصدر الهداية العملية والنظرية للأمة، ينير القلوب والعقول بالوحي الرباني، ويجسد معاني الهداية في سلوكه وأقواله وأحواله، فكان مصدر النور العملي الذي يهتدي به الناس في تفاصيل حياتهم.

فالهداية في القرآن ليست تلقياً سلبياً أو موقفاً جامداً، بل هي سعي نشط وقرار واع، كما في قوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: 106] (الطبري، 2000). ويؤكد الشاطبي (1997) وابن تيمية (1995) أن الهداية تتطلب من الإنسان جهداً واعياً في التعلم والتطبيق، ومراجعة دائمة للذات في ضوء المبادئ الإلهية.

وقد أشار الغزالي (2015) إلى أن النور القرآني ليس مجرد إضاءة عقلية، بل هو قوة روحية توجه القلب والعقل معاً، وتمنح الإنسان القدرة على السعي الواعي نحو الكمال الأخلاقي والمعرفي.

وفي ضوء هذه الدلالات، يتضح أن وصف النبي ﷺ بالنور والسراج المنير هو بيان لمركزيته في الهداية الإلهية، فهو مصدر النور المعرفي والعملية الذي به تتضح معالم الطريق، وتتحقق الهداية النشطة الواعية، ويبنى الإنسان المتكامل في عقله وروحه وسلوكه (الزرعة، 2020).

وبعد وفاة النبي محمد ﷺ، تظل سيرته وسنته الصحيحة في ضوء القرآن الكريم منارة هداية ودلالة واضحة للأمة الإسلامية، تحميها من الضلال والانحراف في كل عصر. فالقرآن الكريم جعل من اتباع النبي ﷺ وسنته امتدادًا للهداية الإلهية، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7]. الهداية النبوية لا تنقطع بوفاة النبي محمد ﷺ، بل تظل سيرته وسنته الصحيحة، في ضوء القرآن الكريم، مصدرًا دائمًا للهداية، ومنارة ترشد الأمة في كل عصر. وعلى هذا تأسست في الفكر الإسلامي المعاصر رؤية معيارية للسنة النبوية تجعلها البيان العملي والتطبيقي للرسالة القرآنية، وامتدادًا طبيعيًا للوحي بعد اكتمال نزوله (انظر: العلواني، 2001).

فالسنة النبوية والسيرة ليست مجرد سجل تاريخي لأقوال النبي ﷺ وأفعاله والأحداث التي مرّ بها علي الصلاة والسلام، بل تمثل منهجًا متجددًا للحياة، يحقق التكامل بين النظرية القرآنية والتطبيق العملي في حياة الفرد والمجتمع. فدور النبي ﷺ بوصفه "سراجًا منيرًا" يتجاوز حدود الزمان والمكان، ليؤسس نموذجًا عمليًا للهداية يبقى صالحًا لكل الأجيال. وتبقى السنة الصحيحة في ضوء القرآن ضمانًا لاستمرارية الهداية وحماية للأمة من الضلال والانحراف، إذ تُعد التطبيق العملي للقرآن الكريم، والمفسر لمجملاته، والمفضّل لأحكامه (العلواني، 2001).

فالسيرة والسنة النبوية الصحيحة، في ضوء القرآن الكريم، تمثلان الامتداد الحي للهداية النبوية بعد وفاة الرسول ﷺ، وتبقيان منارة للأمة وحصنًا من الضلال، ما دامت الأمة تقرهما وتعمل بهما وفق معيارية الكتاب ومقاصده الكلية.

10. التأسّي: النموذج الأصلي النبوي في الشكل الإنساني:

التسمية القرآنية للمثال الكامل:

تؤسس الآية القرآنية ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: 21؛ الطبري، 2000) النبي محمد ﷺ كنموذج أصلي إنساني شامل يدمج التفوق الروحي مع الفعالية العملية (ابن كثير، 1999؛ النووي، 2020).

مصطلح "أسوة" في اللغة العربية مشتق من الجذر (أ-س-و)، ويشير إلى القدوة التي يُحتذى بها، كما يحمل في أصله معنى الإصلاح والشفاء، إذ يُقال: "أساه يأسوه إذا داواه"؛ ما يدل على أن النموذج النبوي يؤدي وظيفة علاجية للأمراض الروحية والسلوكية على المستويين الفردي والجماعي

(الأصفهاني، 2002؛ ابن فارس، 1979). فالنموذج النبوي يعيد بناء منظومة القيم والمعايير في ضوء الوحي، ويحرر الإنسان من الانحرافات الفكرية والسلوكية؛ الأمر الذي يُفهم منه الصلة الوثيقة بين التأسّي ومعنى الإصلاح والشفاء في الجذر اللغوي للكلمة واستعمالها القرآني الدقيق.

فالأسوة تعني الاقتداء العملي لا النظري، أي أن المؤمن مدعو لمحاكاة النبي ﷺ في صبره وثباته وتضحياته، كما في ميدان الجهاد والصبر على الشدائد، وفي السلوك اليومي كالتواضع والكرم والرحمة (ابن كثير، 1999؛ القرطبي، 2006).

والتأسّي بالنموذج النبوي يمثل محورًا تأسيسيًا في البناء المعرفي والروحي للأمة الإسلامية، حيث يُقدّم النبي محمد ﷺ في القرآن الكريم بوصفه "أسوة حسنة" ونموذجًا إنسانيًا أصيلاً يجمع بين التفوق الروحي والفعالية العملية في مختلف مجالات الحياة. فالتأسّي هنا ليس عملية تقليد سطحي أو تكرار آلي للسلوك النبوي، بل هو تفاعل وإع مع جوهر النموذج النبوي، واستلهام لمبادئه في ضوء القرآن الكريم، بما يحقق التوازن بين الثوابت والمتغيرات (العلواني، 2001، ص 108).

فالتأسّي ليس مجرد التزام شكلي، بل هو عملية تربوية ومعرفية شاملة، تُعيد تشكيل العقل المسلم، وتمنح الأمة القدرة على التجدد والإبداع، وتوفر لها الحصانة من الانحراف والضياح في متغيرات العصر (العلواني، 2001، ص 120).

وفي عصرنا الحاضر حيث تتسارع فيه وتيرة التغيير، وتتعدد فيه المشكلات، وتتشابك فيه المصالح، يقدم النموذج النبوي منهجية واضحة للتعامل مع هذه التحديات. فهو ﷺ الذي واجه في عصره تحديات مماثلة: التنوع القبلي والديني، والصراع الاقتصادي، والتوترات السياسية، وقد نجح في إيجاد حلول مبتكرة تحترم الخصوصيات وتحقق المصالح المشتركة.

- في مواجهة أزمة الهوية: يقدم النموذج النبوي هوية منفتحة على الآخر دون ذوبان في الآخر، محافظة على الذات دون انغلاق على الذات.
- في مواجهة أزمة القيم: يطرح قيماً إنسانية عليا تتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية، وتخطب الفطرة الإنسانية السليمة.
- في مواجهة أزمة العدالة الاجتماعية: يضع أسس نظام اجتماعي يكفل الكرامة للجميع، ويحقق التوازن بين الحقوق والواجبات.
- إن النبي محمد ﷺ، بهذا المنظور، أيقونة الإنسانية التي تتجدد مع كل جيل، وتتألق في كل عصر، وتلهم كل حضارة صاعدة. إنه النموذج الذي يذكر الإنسان بمهمته وقدرته أن يكون خليفة الله في الأرض حقاً من خلال التمسك بالقرآن ومنهجه، والقيم الأخلاقية، والسعي

لتحقيق التوازن بين روحه وعقله، بين دنياه وآخرته، بين فرديته وانتمائه الإنساني العام.
(العلواني، رقية، 2020).

11. الهيمنة: المسؤولية العهدية لرفاه المجتمع:

المهمة القرآنية للوصاية الجماعية:

يُعرّف مفهوم "الهيمنة" في القرآن الكريم بأنه الرقابة والشهادة والقيام على الشيء ورعايته، كما يظهر في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

والمهيمن في أصله اللغوي يعني ثلاثة أمور أساسية: القيام على الشيء ورعايته، والرقابة عليه، والشهادة عليه، وهذه المعاني لا يمكن أن تتحقق على حقيقتها إلا لله سبحانه وتعالى. وكان النبي ﷺ يجسد الهيمنة القرآنية من خلال دوره كمبين ومفسر للوحي الإلهي، حيث أنيطت به مهمة إقامة شرع الله في الأرض والحفاظ على سلامة الرسالة من التحريف أو التبديل. وقد تميزت هيمنته بالتوازن بين الثبات على المبادئ الأساسية والمرونة في الوسائل التطبيقية، مما جعله القدوة المثلى في تطبيق المنهجية القرآنية.

والنبي ﷺ أسس دورًا محوريًا في إرساء هيمنة القيم الأخلاقية القرآنية على المجتمع، حيث حارب الأنماط الجاهلية وأسس لسيادة العدالة والرحمة والمساواة، وتجلت هذه الهيمنة في تحويل المجتمع من عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الأحد، ومن العصبية القبلية إلى الأخوة الإيمانية. فالهيمنة في المفهوم القرآني ليست سيطرة قهرية، بل قيادة حكيمة ورعاية شاملة تهدف إلى تحقيق الخير للإنسانية جمعاء. وقد جسد النبي محمد ﷺ هذا المفهوم في سيرته وسنته، مقدمًا النموذج الأمثل للقيادة الأخلاقية التي تجمع بين السلطة والرحمة، والحزم والعدالة.

من هنا يمكن القول إنها مسؤولية رعوية شاملة تمتد وراء التقوى الشخصية لتشمل الرفاه الجماعي والعدالة الاجتماعية (الغزالي، 2015؛ أبو يوسف، 1979). يشتق مصطلح الهيمنة من الجذر ه-ي-م-ن، المتعلق بالهيمنة والوصاية، مشيرًا إلى الإشراف الحمائي والإدارة المسؤولة لموارد المجتمع وعلاقاته (الأصفهاني، 2002؛ ابن منظور، 1414 هـ).

وتشمل هذه الرعاية ما قام به النبي ﷺ من إرساء العدالة الاقتصادية من خلال ضمان التوزيع العادل للموارد ومنع الاستغلال؛ الرفاه الاجتماعي من خلال حماية الفئات الضعيفة وتعزيز التضامن

المجتمعي؛ الحماية البيئية من خلال الحفاظ على التوازن البيئي ومنع التدهور البيئي؛ والحفظ الثقافي من خلال حماية الهوية الإسلامية مع تسهيل التبادل الثقافي المفيد.

التطبيقات المعاصرة لانعكاسات أدوار النبي محمد ﷺ:

يتضح مما سبق أن هذه الأدوار للنبي محمد ﷺ شكلت مشروعًا حضاريًا متكاملًا أحدث نقلة نوعية في جميع جوانب الحياة الإنسانية.

فقد جمع المنهج النبوي على سبيل المثال بين بناء المعرفة وتكوين الشخصية، فكان التعليم عنده تفاعليًا، متميزًا، ومرتبًا بخدمة المجتمع وحل مشكلاته (كونتو ويجويو، 2001؛ العلواني، 2016). كما أرسى النبي ﷺ أسس الإصلاح الاجتماعي عبر تحرير الإنسان من العبودية، وإرساء قيم المساواة والعدالة والتكافل، وجعل مكارم الأخلاق محورًا لبناء المجتمع.

وفي المجال المؤسسي والسياسي، أسس دولة قائمة على الشورى، والعدالة، وربط السلطة بالمسؤولية الأخلاقية، وطبق الإدارة الرشيدة القائمة على الشفافية والمحاسبة. ولم يغفل المنهج النبوي البعد الروحي، إذ ركز على تزكية النفس وتحقيق التوازن بين الروح والجسد، وجعل الغاية الأخروية حاضرة في كل عمل دنيوي. وانعكس هذا المنهج في بناء حضارة إنسانية متوازنة جمعت بين العلم والإيمان، وبين الأصالة والتجديد، ولا تزال قيمه قادرة على إلهام مشاريع الإصلاح والنهضة في العالم المعاصر، لتبقى أدوار النبي ﷺ نموذجًا حيًا للتحويل الفردي والمؤسسي والاجتماعي للتطبيقات التعليمية والإصلاح المؤسسي.

نماذج لبعض التطبيقات القانونية والفقهية:

ينطوي تطبيق الوظائف النبوية في الأنظمة القانونية المعاصرة على منهجية تفسيرية تقوم على ربط النصوص بالواقع المعاصر؛ العدالة الإصلاحية التي تركز على إصلاح العلاقات بدلاً من العقاب؛ المرونة التشريعية في التعامل مع القضايا الناشئة؛ والحوكمة التشاركية التي تنفذ مبادئ الشورى في عمليات صنع القرار.

تشمل التطبيقات الحديثة أنظمة المحاكم الإسلامية التي تدمج حل النزاعات النبوية مع الإجراءات القانونية المعاصرة؛ آليات التحكيم التي تطبق تقنيات الوساطة النبوية؛ وإصلاح التعليم القانوني الذي يؤكد على المنهجية التفسيرية النبوية جنبًا إلى جنب مع الدراسات الفقهية التقليدية.

نماذج لبعض التطبيقات الاقتصادية والمالية:

تشمل التطبيقات المعاصرة للمبادئ الاقتصادية النبوية تطوير التمويل الإسلامي الذي يجسد أخلاقيات الأعمال النبوية من خلال الشفافية وتقسام المخاطر والمسؤولية الاجتماعية؛ معايير الاستثمار التي تعطي الأولوية للمنفعة الاجتماعية جنباً إلى جنب مع العوائد المالية؛ مكافحة الفقر من خلال الأدوات المالية التي تتعامل مع عدم المساواة الاقتصادية؛ والمسؤولية الاجتماعية للشركات التي تأخذ في الاعتبار جميع أصحاب المصلحة بدلاً من تعظيم أرباح المساهمين حصرياً.

النتائج وخاتمة الدراسة والتوصيات

تؤكد هذه الدراسة أهمية فهم السنة النبوية كتجسيد عملي للقرآن الكريم؛ حيث تعمل الأدوار النبوية في القرآن كأنظمة متكاملة ومتراصة، حيث يدعم كل دور الأدوار الأخرى ويكملها لتشكيل أطر شاملة لتنفيذ الهداية القرآنية؛ الأمر الذي يؤكد ديناميكية السنة النبوية التي تظهر تنفيذ المبادئ والقيم القرآنية عبر سياقات مختلفة دون فقدان الأصالة. كما تثبت المنهجية التكاملية بين قراءة النص وقراءة الواقع فعاليتها في ربط النصوص التقليدية بالواقع المعاصر.

ويوفر الفهم العميق للأدوار النبوية حلولاً عملية للتحديات المعاصرة عبر مجالات مختلفة. إذ تحقق المنهجية المقترحة التوازن بين الأصالة والمعاصرة دون المساس بأي منهما. كما تساهم الدراسة في تطوير أطر مؤسسية للمجتمعات الإسلامية تحقق التنمية الشاملة، وتفتح آفاقاً جديدة للحوار الحضاري والتفاعل الإيجابي مع الثقافات الأخرى.

وتظهر الدراسة كيف يمكن دمج التراث الإسلامي التقليدي مع المنهجيات الأكاديمية المعاصرة دون المساس بالأصالة، كما تساهم في خلق أطر عملية لتنفيذ القيم النبوية في المجتمعات والمؤسسات المسلمة المعاصرة.

التوصيات للتنفيذ والبحث المستقبلي

من المهم أن تقوم المؤسسات التعليمية بعمليات مراجعة وإصلاح لمنهج الدراسات الإسلامية لتقديم القرآن والسنة النبوية في إطارها الأخلاقي والقيمي والعملي، مع أهمية طرح برامج تدريب المعلمين على المنهجيات التربوية النبوية ومنهج تنمية الشخصية إلى جانب إقامة شراكات أكاديمية بين الجامعات الإسلامية ومؤسسات البحث.

ومن المهم للمجتمعات الإسلامية تشجيع التطبيق العملي للأدوار النبوية في الحياة اليومية للمسلمين، وتطوير برامج التعليم الأسري القائمة على النماذج النبوية الشاملة.

إن التطبيق المبدئي لهذا الفهم يمكن أن يساهم في نهضة شاملة في المجتمعات الإسلامية، محققاً التوازن المطلوب بين الأصالة والمعاصرة، مقدماً للعالم نماذج حضارية متميزة تجمع بين الروحانية والعلم، والعدالة والتنمية، والهوية والانفتاح.

وتؤكد الدراسة أهمية استمرار البحث والتطوير في هذا المجال، وضرورة تنسيق الجهود بين العلماء والمفكرين والمؤسسات لتطبيق هذه المفاهيم في الواقع، تحقيقاً للمقاصد العليا للإسلام وخدمة للإنسانية جمعاء.

وتبقى الرسالة النبوية، بأدوارها المتعددة وتطبيقاتها الشاملة، مصدر إلهام ومنازة هداية للأجيال المتعاقبة، تبين لهم سبل تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، وتزودهم بالأدوات اللازمة لبناء مجتمعات عادلة ومتقدمة ومزدهرة.

المراجع

المصادر الأساسية:

• القرآن الكريم:

- البخاري، م. إ. (1422 هـ). صحيح البخاري. دار طوق النجاة.
- الترمذي، م. (1975). سنن الترمذي. دار إحياء التراث العربي.
- ابن ماجه، م. (1975). سنن ابن ماجه. دار إحياء التراث العربي.
- مسلم بن الحجاج. (د.ت). صحيح مسلم. دار إحياء التراث العربي.

المصادر العربية الكلاسيكية:

- الأصفهاني، أ. ر. (2002). مفردات ألفاظ القرآن [مفردات المصطلحات القرآنية]. دار القلم.
- ابن تيمية، أ. (1995). مجموع فتاوى ابن تيمية [فتاوى ابن تيمية المجمع]. دار الوفاء.
- الزحيلي، و. (1418 هـ). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج [التفسير المنير في العقيدة والقانون والمنهجية]. دار الفكر المعاصر.
- ابن سعد، م. (1968). الطبقات الكبرى. دار الكتب العلمية.
- الشافعي، م. إ. (1940). الرسالة [الرسالة]. مصطفى الباوي الحلبي.
- الشاطبي، إ. م. (1997). الموافقات [التوفيق]. دار ابن عفان.
- الطبري، م. ج. (2000). جامع البيان في تأويل القرآن [التفسير الشامل للقرآن]. مؤسسة الرسالة.
- الغزالي، أ. ح. (2015). إحياء علوم الدين [إحياء العلوم الدينية]. دار المنهاج.

- ابن فارس، أ. (1979). معجم مقاييس اللغة [معجم معايير اللغة]. دار الفكر.
 - ابن القيم، م. (1415 هـ). زاد المعاد في هدي خير العباد [زاد الآخرة في هداية خير العباد]. مؤسسة الرسالة.
 - ابن كثير، إ. (1999). تفسير القرآن العظيم [تفسير القرآن النبيل]. دار طيبة.
 - ابن منظور، م. (1414 هـ). لسان العرب [لسان العرب]. دار صادر.
 - النووي، ي. (2020). رياض الصالحين [حدائق الصالحين]. دار المنهاج.
 - أبو يوسف، ي. (1979). كتاب الخراج [كتاب الضرائب]. دار المعرفة.
- المصادر العربية المعاصرة:**

- الزرعة، ل. ن. (2020). الطرائق النبوية التعليمية وطرائق التعليم في القرن 21. مجلة أماراباك، 11(37)، https://amarabac.org/wp-72-51-content/uploads/2020/06/AMARABAC_11-37_51-72.pdf
 - العلواني، ز. ر. ط. (2025م). تزكية النفس في القرآن الكريم: دراسة تحليلية لخصوصية الدور النبوي في تأصيلها وتطبيقها. مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية المجلد. 6 (العدد 5).
 - العلواني، ط. ج. (1991). أصول الفقه الإسلامي: منهجية معرفية [الفقه الإسلامي: منهجية معرفية]. المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
 - العلواني، ط. ج. (2007). إحياء التوازن: سلطان القرآن ومقام السنة [إحياء التوازن: سلطة القرآن ومكانة السنة]. المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
 - المباركفوري، ص. (2007). الرحيق المختوم [الرحيق المختوم]. دار السلام.
- المصادر الإنجليزية:**

- Abou El Fadl, K. (2001). Speaking in God's name: Islamic law, authority and women. Oneworld Publications.
- Alalwani, R. T. J. (2020). What Prophet Muhammad Offered to Humanity (). Turkey: Ark Books.
- Al-Alwani, T. J. (2016). Issues in contemporary Islamic thought. International Institute of Islamic Thought.
- Al-A'zami, Muhammad Mustafa. (1990). Hadith Methodology and Literature, a general introduction to the subject. American Trust Publications.

-
- Bakar, O. (2017). Taha Jabir Al-Alwani's contribution to contemporary Islamic thought: An assessment. *American Journal of Islamic Social Sciences*, 34(2), 1-24. <https://doi.org/10.35632/ajiss.v34i2.782>.
 - DeLorenzo, Y. T. (2016). In memorial: Taha Jabir Al-Alwani (1935-2016). *American Journal of Islamic Social Sciences*, 33(4), v-ix. <https://doi.org/10.35632/ajiss.v33i4.435>.
 - Déroche, F. (2014). *Qur'ans of the Umayyads: A first overview*. Brill.
 - Hassan, M. K. (2018). The epistemological foundations of Taha Jabir Al-Alwani's reformist methodology. *Islamic Studies*, 57(3), 267-289. <https://doi.org/10.2979/islamicstudies.57.3.04>
 - Ibrahim, A. F. (2019). Taha Jabir Al-Alwani and the crisis of the Muslim mind. *International Institute of Islamic Thought*.
 - Kuntowijoyo. (2001). *Muslim tanpa masjid [Muslims without mosque]*. Mizan.
 - Rahman, F. (1982). *Islam and modernity: Transformation of an intellectual tradition*. University of Chicago Press.
 - Ramadan, T. (2020). The legacy of Taha Jabir Al-Alwani in contemporary Islamic reform. *Journal of Islamic Studies*, 31(2), 145-162. <https://doi.org/10.1093/jis/etaa015>.
 - Watt, W. M. (1956). *Muhammad at Medina*. Oxford University Press.